نماذج من الدمى المكتشفة في تل أسود : دليل على استمرار النتاج الفني العراقي القديم

احمد مالك الفتيان
استاذ مساعد
كلية الآداب / قسم الآثار

من البديهيات ، ان بلاد وادي الرافدين ذات حضارة عريقة عدت من أقدم الحضارات في العالم وأكثرها اصالة وتأثيرا في الحضارات الاخرى .. ومن المعروف ان كثيرا من الاقوام قد تعاقبت على حكم بلاد وادي الرافدين وقامت فيها سلالات وطنية ومحلية كالسومريين والاكديين والبابليين والاشوريين(١) . وسلالات أجنبية غازية دخيلة كانت أقل حضارة من الحضارة العراقية ومن هذه الاقوام العيلاميون الكشيون والاخمينيون والفرتيون(٢) .

والمعروف ان الدور السلوقي (٣١٢-١٣٩ ق.م) الذي ساد في العراق أعقبه دور عرف لدى الباحثين باسم الدور الفرثي .. ولا نريد أن نخوض في التفصيلات عن أصل الفرثيين ودولتهم وانتشارهم وعلاقاتهم السياسية مع الامم الاخرى لاننا تناولنا ذلك في بحوث اخرى(٣) . والذي يهمنا في هذا المجال هو تأثرهم وانبهارهم بالحضارة العراقية القديمة ذات الاصالة المعروفة .. فنراهم مقلدين لها في كل جوانبها وعناصرها آخذين بنظر الاعتبار محاولتهم لطمس تلك المعالم وذلك باضفاء بعض الافكار التي جاءوا بها من بلادهم .. الا ان العراقيين القدماء الذين تمسكوا بمعطيات حضارتهم تركوا البصمات الواضحة على كل ما يمكن أن يعزى لهذه الفترة .

والموضوع المطروق للبحث يتناول بعض النماذج الفخارية والعظمية من الدمى النادرة التي تم العثور عليها خلال أعمال جامعة بغداد كلية الآداب قسم الاثار في تل أسود والتي لم يتسنى لنا الوقت لنشرها سابقا.

ومن خلال أعمال الحفريات الواسعة في موقع تل أسود وما تيسر لنا من مصادر اخرى عن الفترة ذاتها وهي فترة طويلة بالمقارنة مع فترات الاحتلال الاخرى التي تعاقبت على حكم بلاد وادي الرافدين والتي دامت قرابة ثلاثة قرون .

وكنتيجة للتمازج والتداخل الحضاري الذي تميزت فيه هذه الفترة من التاريخ يمكن تقسيم النماذج المعروضة للدرس في هذا البحث الى المجاميع الآتية :ـ

١ ـ المجموعة الاولى : وتمثل النماذج التي تشير بوضوح الى أصلها العراقي القديم وتشمل الارقام التالية :ـ ٥٧٢ و ٥٩٣ و ٥٩٥ و ٦٧٩ و ٦٨٢ و ٧٠٩(٤) .

٢ ـ المجموعة الثانية : وتمثل نماذج متأثرة بوضوح في الفن الهلنستي وتشمل الارقام الاتية : ٦٣٤ و٦٤٢ و ٦٥٥ و٦٥٨ و ٦٧١ و ٦٩٠ و ٧١١(٥) .

٣ ـ المجموعة الثالثة : وتمثل نماذج عليها مسحة قرثية عملت بنفس التقنية العراقية القديمة وتشمل الارقام الاتية : ٥٩٤ و ٥٩٨ و٦٣٥ و ٦٤٦(٦) .

ومن خلال ما تقدم يمكن القول ان هذه الظاهرة الحضارية اعتبرت نموذجا للالتقاء الحضاري الواسع بين شعوب منطقة الشرق القديم المختلفة وحضارة العراق القديم الفريدة والمتميزة ذات العراقة والاصالة ، وكانت هذه الفترة التي ترجع اليها الدمى هي في الحقيقة خير من يمثل الالتقاء الحضاري . ومن خلال دراسة هذه النماذج فنيا تبين انها تمثل فترة عرفت لدى الباحثين بالفترة القرثية المحصورة بين ١٤٠ ق.م والى ٢٢٦

بعد الميلاد .

ان دراسة هذه الظاهرة تعتمد اعتمادا كليا على ما تجود به أعمال التنقيبات العلمية ، فموقع تل أسود السالف الذكر يمثل الموقع النموذجي لهذه الفترة في العراق . هذا فضلا عن ما قمنا به من مسح وكشف اثاري للتلال المحيطة بالمنطقة(٧) . لذلك فان دراسة مثل هذه الدمى المصنوعة من الطين أو الفخار أو العظم والتي تعود الى الفترة القرنية وعبر دراسة النماذج الاخرى التي عثر عليها في مواقع مختلفة من العراق وبالمقارنة معها تبين لنا انها مرت بمراحل وتتابع زمني وتفاعل وخلط(٨) بين الفنون والى أن توضح الفن الفرثي في حدود القرن الاول الميلادي .

والذي يعزز ما ذهبنا اليه هو ان التجزئة السياسية قد لعبت دورا مهما في الحياة الاجتماعية والفنية مما أثر على أن يكون لكل قطر فنه الخاص وهذه الحالة نادرة في تاريخ الفن عبر العصور .. الا ان الفترة الفرثية هي أخصب هذه الفترات من ناحية التقسيمات الفنية ، وهذا ما هو موضح في هذه الالواح .

ولذلك فان بعض النماذج من الدمى المكتشفة في تل أسود تبين بوضوح البصمات الفنية التي تمثل الفن المحلي باسلوب متميز ، وهذا ما ظهر على الفن الفرثي الاخير والمتمثل في المجموعة الثالثة الانفة الذكر .

ومع ذلك فان الفرثيين استطاعوا أيضا أن يمزجوا بين هذه الفنون جميعا فنتج عن ذلك فنا خاصا متطورا يمكن أن يعرف باسمهم(٩) . والنتيجة التي توصلت اليها من خلال مراحل تطور الفن الفرثي ان هذا الطور الخاضع للدراسة يمثل الفترة الفنية الثالثة المتطورة وهذه بدورها تمثل الفن الفرثي المحلي والذي يؤكد ما ذهبنا اليه في دراسة التطور الفني المشار اليه من خلال هذه النماذج الطينية والفخارية والعظمية .. اننا نرى البصمات العراقية القديمة واضحة كل الوضوح على النماذج

الفنيـــة(١٠) كمـا اننـا نرى البصمات الهلنسية اليونانيـة السلوقية واضحـة أيضا(١١) ٠

ان المتتبع لدراسـة الفن الفرثـي بامعان ومـن خلال ما زودتنا بـه حفريات جامعة بغداد كليـة الاداب قسم الاثار ، تبين لنا ان هـذا الفن وان قيلت فيـه الاراء المختلفة والكثيرة والتي لا تعدو سـوى الفرضيات والحدس ٠ ان هذا الفن يمثل فنا وطنيا يعكس وجهة نظر الفنان المنتسب والمتأثر بتراث وطنه عبر التاريخ مع التأثير الواضح في المؤثرات الفنية التي تركها الغزات السلوقيين والفرثيين(١٢) ٠

وخلاصة القول ان التقليد للنتاجات الفنية القديمة واضحا كما ان التأثير الخارجي واضح أيضا وهذا ما لاحظناه من خلال الاطلاع والتحري أثناء عملنا في تنقيبات تل أسود وفي ضوء ما نشرته البعثات الاخرى التـي كانت تعمل في المواقع الاثرية الاخرى التي أمدتنـا بنتاجات تلـك الفترة ومـن أبرز العاملين فـي هذا المجـال جامعـة تورينو الايطاليـة ومشيكن الامريكية في سلوقية(١٣) ٠

ولعل خير دليل على مصداقية ما ذهبنا اليه هو النماذج الاتيـة حيث يمثل اللوح الاول والثاني منهـا الدمى الطينيـة والفخارية والعظمية ذات الاسلوب العراقي القديم والذي ربما يشير الى نماذج للالهـة عشتار الهـة الحب والحرب ونموذج (٥٩٥) اخر لمشـهد جنسي « طقوسي » متعارف عليه منذ العصر البابلي القديم(١٤) ٠

أما اللوحين الثاني والثالث فيمثلان نمـاذج هلنستية ودليلنا الدامغ عليها هو طراز اللباس المعروف من هذه الفترة ٠

كما عبر اللوح الرابع والاخير عـلى النتاجات الفنيـة الغريبة عـلى الفنـين العراقـي القديـم والهلنستي والتـي تميزت بملامح فنيـة فرثية بحتـة(١٥) ٠

الرقم	القياس	المادة	المعثر	اللوح	الوصف
٥٧٢	٤ر٩سم الطول ٤ر٥ سم العرض	الفخار	ط ٤ غ ٢ الوحدة البنائية رقم ٣	١	دمية من الفخار لامرأة عارية من الخلف مكسورة الرأس والرجل والقدم .
٥٩٣	٩ر١٢ سم	فخار	ط ٥ غ ٤ البنائية	١	دمية من الفخار لامرأة عارية مفقودة الرقبة والرأس تضع يدها اليمنى على ثديها .
٥٩٥	٤ر٩ سم	فخار	ط ٤ غ ١ الوحدة البنائية رقم (٤)	٢	دمية فخارية تمثل مشهدا ذو طابع طقوسي صيني متعارف عليه في العراق القديم .

الرقم	القياس	المادة	المتر	اللوح	الوصف
٦٧٩	٥ر٨ سم	فخار	ع ١ تشهيل الطبقة الرابعة	٢	دمية فخارية تمثل امرأة عارية تضع يديها على ثدييها تذكرنا بدمى تمثل الان عشتار من العراق القديم.
٦٨٢	٥ر٩ سم	عظم	ط ٤	١	دمية صغيرة عارية من العظم تمثل امرأة ربما الاله عشتار المتعارف عليها واضعة يديها على صدرها وتظهر كافة تقاطيع الجسم بشكل حزوز .
٧٠٩	٩ر١٠ سم الطول ١ر٥ العرض	فخار	ط ٤ ط ٤ منطقة القبى ٥	٣	دمية تمثل امرأة عارية جالسة على كرسي وتضع يديها على ثدييها وربما تمثل الاله عشتار أيضا .

الرقم	القياس	المادة	المعثر	اللوح	الوصف
٦٣٤	١٦ سم	فخار	ط ٤ الوحدةالبنائية رقم ٢	٣	دمية فخارية تمثل امرأة بملابس شفافة ذات طيات واضحة واضعة يديها اليمنى على صدرها وأسبلت اليد اليسرى ·
٦٤٢	٧ر٩ سم الطول ٨ر٣ سم العرض	فخار	ط ٤ غ ٩ الوحدة رقم ٢	٣	دمية فخارية تمثل امراة تلبس ملابس طويلة الى أخمص القدمين ذات طيات بارزة ·

الرقم	القياس	المادة	المعثر	اللوح	الوصف
٦٥٥	٦ر٧ سم	فخار	ع ٩ الوحدة رقم ٢ تشهيل الطبقة الرابعة		دمية فخارية تمثل الجانب الايسر لامرأة ربما ترتدي ملابس شفافة تشابه الملابس المشار اليها في القطعتين السابقتين .
٦٥٨	٩ سم	فخار	ع ٦ الوحدة رقم ٢ تشهيل الطبقة الرابعة	٣	بقايا دمية تمثل الجزء الاسفل للباس امرأة طويل يشابه اللوح الهلنستي السابق .
٦٧١	٣ر٧ سم	طين	غ ٩ الوحدة رقم ٢ تشهيل الطبقة	٤	دمية من الطين تمثل الجزء الاعلى من شكل امرأة تلبس ملابس من أعلى رأسها ومن الاسفل وهي تذكرنا بعروس الحضر المشهورة .

الرقم	القياس	المادة	المعثر	اللوح	الوصف
٦٩٠	٧ سم الطول ٥ سم الطول		ط ٤ وحدة رقم ١ **دفن الطبقة** الثالثة		الجزء الاسفل لدمية تمثل امرأة فاقدة الرأس واليد ملابسها تنم عن طراز مشابه لطراز الدمية السابقة .
٧١١	٨ سم الطول ٤ر٥ العرض	فخار	غ ١٧ ط ٤		مشابهة للوح السابق مع طيات واضحة للملابس الطويلة .
٥٩٤	٧ر٦ سم		ط ٤ وحدة بنائية ٢	٥	دمية غريبة الشكل غير واضحة تستند على قاعدة بهيئة الجلوس والتقنية عراقية قديمة .
٥٩٨	٧ر٥ سم	الفخار	ط ٤ غ ٦ الوحدة البنائية رقم ٢	٥	دمية فخارية فاقدة الرأس والبدن والصدر تظهر فيها القاعدة تشبه من حيث طريقة العمل الدمية السابقة .

الرقم	القياس	المادة	المعثر	اللوح	الوصف
٦٣٥	٥ر٩ الطول ٩ر٣ العرض	الفخار	ط ٤ غ ٩ الوحدة البنائية رقم ٢	٥	دمية فخارية مفقودة الرأس تحمل بيديهـا طفلان ذات ملابس قصيرة نسبيا تمثل تأثيرا اخمينيا . أما المشهد فهـو موضوع عراقي قديـم معروض منذ عصور ما قبل التاريـخ .
٦٤٦	٤ر٧ سم	الفخار	غ ٩ الوحدة رقم ٢ تشهيل الطبقة الرابعـة	٥	دمية فخارية غريبـة الشكل تمثل امرأة جالسة بوضعية القرفصاء صنعت بقـالب وهذه التقنية عراقية قديمة.

المصـــادر والهوامش

(١) حول تاريخ هذه الاقوام انظر : نخبة من الباحثين العراقيين ، العراق في التاريخ ، وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٣ · انظر كذلك طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٧٣ ، وساكز ، عظمة بابل، ترجمه عامر سليمان ، الموصل ١٩٧٩ ·

(٢) نخبة من الباحثين العراقيين ، الصراع العراقي الفارسي ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد، ١٩٨٤ ·

(٣) أحمد مالك الفتيان، العصر الفرثي في العراق في ضوء تنقيبات تل أسود، جامعة بغداد ١٩٧٥ اطروحة غير منشورة · وانظر كذلك أحمد مالك الفتيان وزهير رجب، سبع سنوات في تل أسود، بغداد ١٩٧٩ ·

(٤) انظر الملحق وتصاوير اللوحين الاول والثاني ·

(٥) انظر الملحق وتصاوير اللوحين الثالث والرابع · وانظر كذلك بخصوص أثر الحضارة البابلية على الحضارة الهلنستية ·

Joachim Oelsner, Materialien Zur Babylonischen inHellen istischer Zeit. Budapest, 1986.

(٦) انظر الملحق وتصاوير اللوح الخامس ·

(٧) أحمد مالك الفتيان وزهير رجب، المصدر السابق ، انظر كذلك للباحث العصر الفرثي في العراق المصدر السابق ·

8 - Percy Syres, History of Persia,Vol. II, London, 1936 P. 305f.

9 - Malcolm A. R. The Parthians, P. 21. Chirshman, R. Iran, P. 245f.

(١٠) وانظر كذلك نماذج المجموعة الاولى في اللوحين الاول والثاني ·

(١١) انظر نماذج المجموعة الثانية في اللوحين الثالث والرابع ·

12 - Debervorse, A Politicai History of Parthia, p. 132, f.

13 - University di Torino, Third Rreiiminary of the Excavatoin at Selencia and Ctesiphon tn Mesopotamia, III, VI, (Torino, 1963-71).

(١٤) ساكز ، عظمة بابل، المصدر السابق ونتائج حفريات جامعة بغداد في موقع سبار عن د· فاروق ناصر الراوي ·

(١٥) أحمد مالك الفتيان، «الفن الفرثي المقارن» ، مجلة كلية الاداب ١٩٧٨ ·

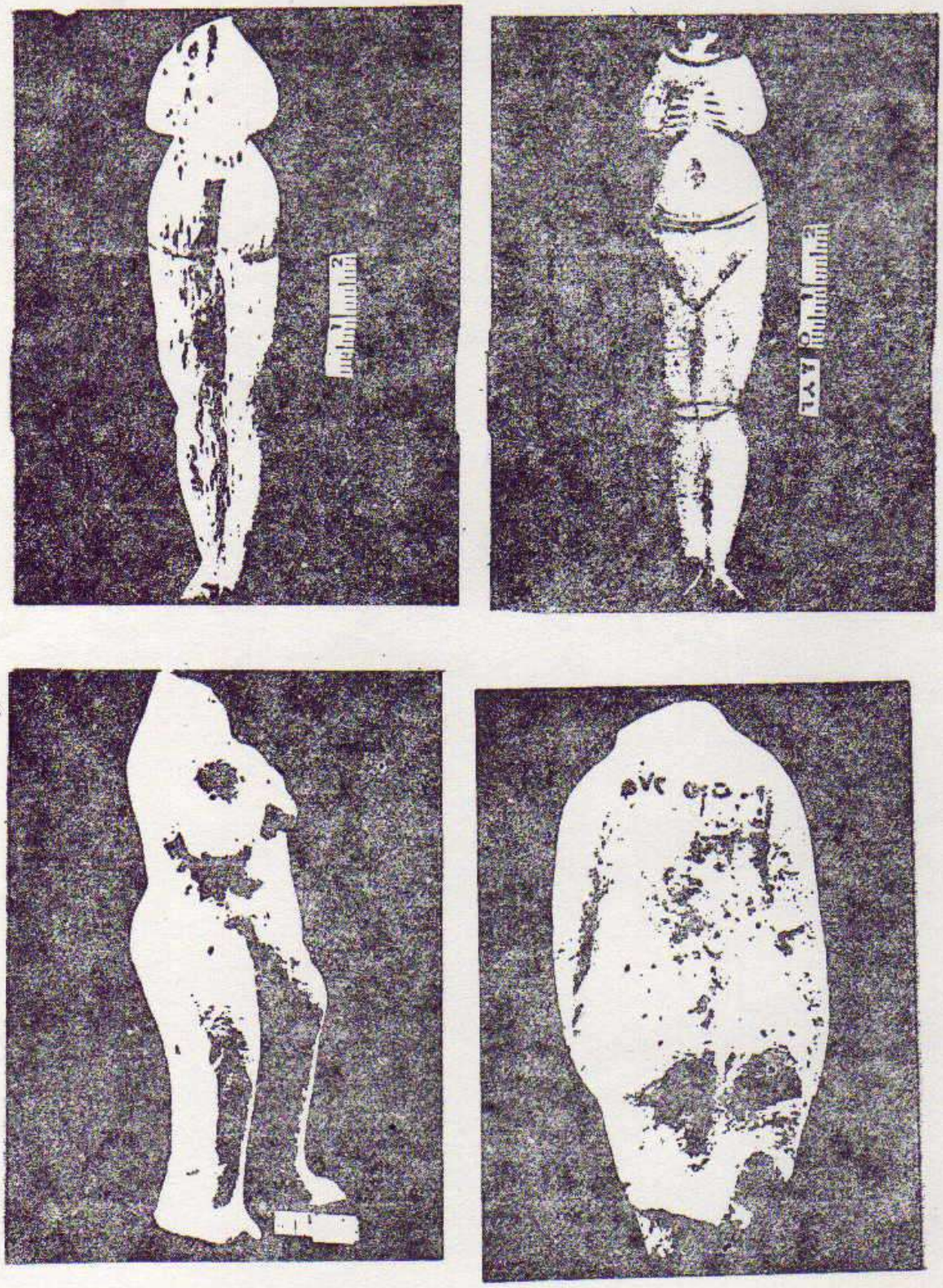

نماذج مختارة تبين استمرار انتاج العراقي القديم

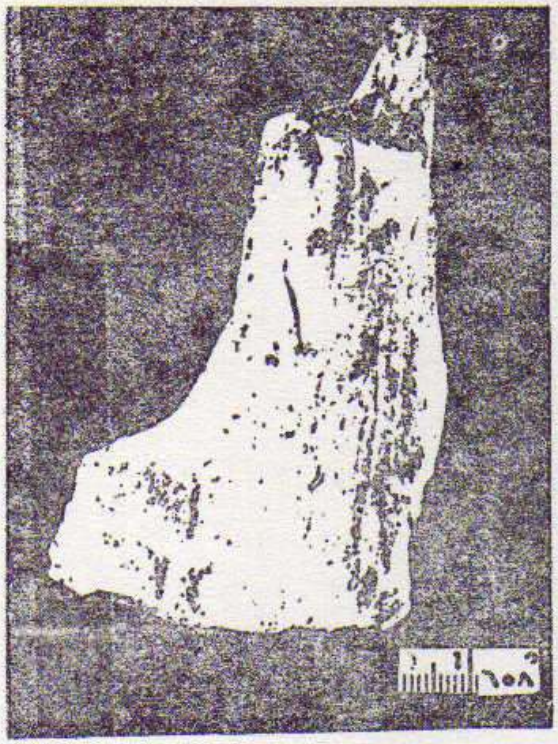

نماذج مختارة تمثل استمرار الفن العراقي القديم